ولَنْ تَرَى من وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بهِ ولا من عَدُوٍّ غيرِ مُنْقَصِمِ[١]

والفصلان الأخيران ، وهما خَتامُ القصيدة ، مجموعةٌ من الابتهالات والتَّوسُّل برسول الله ، تتَّسِم بالصِّدق وحرارة العاطفة ، وهو يبدأ بالاعتراف ، في تواضُع ومَذَلَّة ، بأنه قضى شطراً كبيراً من حياته يبذل شعره في خدمة أصحاب الجاه والسُّلطان ؛ فلم يَجْن من ذلك إلا النَّدمَ والخُسْرانَ ، ولكنه في النّهاية وجد خلاصَه في إلزام نفسه بأن يجعل مديحه خالصاً للرَّسول ﷺ ، لا يبتغي به شيئاً من عَرَض الدُّنيا ، وهو يرى أن ذنوبه مهما عظمت فإنه يطمع في شفاعة الرَّسول له ؛ لغفران تلك الذُّنوب :

خَدَمْتُه بمَديحٍ أستَقِيل بهِ ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعرِ والخِدَم
أطعتُ غَيَّ الصِّبَا في الحالَتَيْن وما حَصَّلْتُ إلا على الآثام والنَّدَم
فيا خُسَارَةَ نَفْسِي في تِجارَتِها لم تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولم تَسُم
إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ مِن النَّبيِّ ولا حَبْلِي بمُنْصَرِم
إن لم يكُنْ في مَعَادي آخِذاً بيَدِي فَضْلاً وإلا فقُلْ يا زَلَّةَ الْقَدَم
ومُنْذُ أَلْزَمْتُ أفكاري مَدَائِحَهُ وَجَدْتُه لِخَلاصِي خَيْرَ مُلْتَزِم[٢]

* * *

تُعَدُّ البُردة – بحقٍّ – من خير ما نُظِم في المديح النَّبويِّ ، والغريبُ أن البوصيري في سائر شعره الذي احتفظ به ديوانُه ، لا يعدو مرتبة الشُّعراء المتوسِّطين ، وأنه عاش في عصرٍ غَلَب على الشِّعر فيه الزُّخرفُ المتكَلَّف والصَّنعة التي تُفقد الشِّعر روحه ، وتجعله أشبَهَ بجسدٍ مُحَنَّط . والبردةُ نفسها لا

(١) مُصْطَلِم : مُستأصِل ، وهو يعني بذلك السَّيف ، والآجام : جمع أجَمَة ، وهي الشَّجر الملتفُّ ، يعني به عَرين الأسد ، وتَجِم : تصبح واجِمَة ، أي ساكنة على غيظ ، ومُنْقَصِم : منكسر .

(٢) أستقيل : أنهض من العَثْرة ، والخِدَم : جمع خدمة ، لم تَسُم : لم تفاوض في البيع ، مُنْصَرِم : مقطوع .